

الموضوع: المال وحب المادة

برنامج أنوار كاشفة

أعزائي المستمعين، يقول الكاتب والأديب اللبناني المعروف ميخائيل نعيمة مايلي: "من يدري لعل ما نعمله في النهار ليس أكثر من امتداد لأحلامنا في الليل. فقد تكون حياتنا حلما لا انفصال فيه." أجل، حياتنا أصدقائي مليئة بالأحلام والآمال التي نرجو أن نحققها يوما ما. وما هدف تعبنا وكدنا سوى أن نجعل هذه الأحلام التي تراودنا حقيقة واقعة نتمتع فيها حين تحقيقها. أليس كذلك؟

بالطبع هذا صحيح. فالعمل والكد وبذل الجهد في سبيل الحصول على ما نبغي تحقيقه ليس خطأ البتة. فالأحلام التي لدى كل فرد منا لها دليل كبير على أننا ولدنا كبشر على شبه الله وصورته ومثاله. لأن الأحلام هي نتيجة للعقل الخلاق والمبدع الذي منحنا إياه الله تعالى. لكن ما رأيك مستمعي بما أورده أيضا ميخائيل نعيمة في كتابه حين قال: سئل أحدهم: ما هي أقصى أمنياتك؟

فقال: أن يكون لي مال قارون.

فقيل له: ولكن قارون مات. ولم يجده ماله فتिला. أفلا تمنيت ألا تموت؟

قال: أعطني مال قارون ولو ليوم واحد، وخذ روحي اليوم التالي. حسبي أن أشعر وأن يقال عني إنني أغنى رجل الأرض ولو لساعة واحدة...

حسبي أن حلم هذا الإنسان أن يكون قارون الغني ... أي أن يكون لديه مال قارون ولو لساعة واحدة. فالصيت الذي كان لقارون بسبب غناه كان صيتا يملأ الدنيا، ولهذا فأمنية هذا الشخص أن يكون ذا مال كثير وصيت كبير... وأنت صديقي المستمع مارأيك في قصة صاحبنا هذا؟ ثم أليس هذا ما يتمناه العديدون ليس في أيامنا هذه فحسب بل على مر العصور والأجيال؟

قلنا إن الأحلام هي منحة إلهية من عند الله الخالق. لهذا فليس من الخطأ أن يحلم الإنسان في أن يكون غنياً؟ أجل ليس خطأ أن يحلم الإنسان أو يرغب في أن يصبح غنياً. لكن الخطأ هو أن يعيش حياته بجملتها من أجل هدف واحد وهو الغنى. وليس هذا فحسب، بل أن يتغاضى عن كل شيء في الحياة ويسعى لتحقيق مبتغاه من الغنى والشهرة.

أعرف شخصياً العديد من الناس الأغنياء الفضلاء، والذين لا غبار على حياتهم. فالغنى ليس خطية بحد ذاته. بل أن يصبح الغنى أو المال هو هدف الإنسان في الحياة هذا هو الخطأ مئة بالمئة. فالمال هو وسيلة يعيش فيها الواحد منا ليحصل على حاجاته وما يريده من متطلبات الحياة. وحين يصبح المال غاية في حد ذاته يعيش من أجله الإنسان، عندها يصبح خطأ فادحاً.

تذكرت الآن قصة حقيقية عن إنسان غني كان لديه من المال الكثير ومن المجوهرات والذهب ما لا يعد أو يحصى. فعندما مرض وعلم أنه سيموت قال لزوجته هذه صرة المال والذهب ضعها لي في مكان أمين فوق على الرف حتى عندما أصعد الى فوق أخذها معي. ولكن عندما مات ودفن أتت امرأته تفتش بين أغراضه على الرف فوجدت أن الصرة مازالت هناك كما هي ولم يأخذها معه. فقالت في نفسها: وأسفي عليك يا زوجي ربما لم تصعد بل نزلت لهذا كان علي أن أضعها تحت السرير وليس فوق على الرف. لم تبق أموال هذا الرجل فحسب بل قارون أيضاً وكل غناه لم يجده نفعاً. جيد للإنسان أن يطمح في حياته ويكون لديه دافع في سبيل تأمين عيش رغيد وسعيد لعائلته، ولكن عليه أيضاً أن يعلم علم اليقين أن حياته ليست في أمواله. وهذا ما يذكرني بحادثة حصلت منذ ألفي عام تقريبا ودونها لنا الإنجيل المقدس وفي الإنجيل بحسب البشير متى، الفصل التاسع عشر وابتداء من العدد السادس عشر.

" وإذا واحد تقدّم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟... فقال له: إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا. قال له أية الوصايا؟ فقال يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك وأحب قريبك بنفسك. قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حدثتي. فماذا يعوزني بعد؟ قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني. فلما سمع

الشاب الكلمة مضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة. " (متى ١٩: ١٦-٢٢) إذن، ماذا كانت نهاية ذلك الشاب الذي كانت حياته من أمواله؟ لم تكن نهاية جيدة لأنه ذهب حزينا ولم يمض فرحا.

ليس مصير كل إنسان غني كمصير هذا الشاب الذي جاء الى المسيح، بالطبع لا. بل إن هذا الشاب الغني كانت مشكلته واضحة. وقد عرف الفادي المسيح المعلم الصالح قلبه لهذا استطاع أن يعرف المشكلة التي لديه وهي المال. فهو لم يكن يفتني المال الكثير فحسب، بل كان المال مسيطرا على حياته كلها حتى صار له عبدا.. لهذا أوضح له المسيح بسطان بأنه ينبغي أن يتخلى عن السبب الذي يمنعه من دخول السماء. المال الذي صار له سيذا و عبدا. وفي هذا المنحى قال مرة الفادي المسيح أيضا: " لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال. " (متى ٦: ٢٤)

أصدقائي ماذا نتعلم نحن اليوم من هذه الحادثة التي دونها الإنجيل المقدس ياترى؟ إنه سؤال مهم بالطبع. أجل ماذا نتعلم جميعا من هذه الحادثة الهامة؟ أليس أن لا نستعبد للمادة التي تحيط بنا من كل جانب؟ إن الإغراءات المادية في كل مكان، وكل ينظر إلى صديقه أو زميله أو قريبه الذي سعى ووصل وغدا غنيا محترما، ينظر اليه، فتدب نار الخيرة في قلبه ويسعى ليصبح مثله ومهما كلفه ذلك من ثمن؟ ما هي أمنيتنا؟ هل أن يصبح لدينا المال لكي نستخدمه كوسيلة في حياتنا؟ أم أننا نعيش من أجل كسب المال وتجميعه؟ هناك فرق شاسع بين الإثنين .

أما جواب السيد المسيح عارف القلوب و الأفكار لنا في هذا اليوم هو بالضبط كجوابه منذ مئات السنين لذلك الشاب الغني: اذهب بع كل مالك وأعط الفقراء وتعال اتبعني.. أي أن نترك ونتخلى عن كل ما يشغلنا عنه تعالى ، ونطلب من الله أن يحررنا بالفعل من عبودية المال والغنى والشهرة . وعندما ننكر ذواتنا ونتوب عن كل ما يستعبدنا ، عندئذ نمضي فرحين. لأنه عندها نتحرر من كل قيد ونصبح أحرارا بالفعل. ألم يقل المسيح وتعرفون الحق والحق يحرركم؟ وليس هذا فحسب، بل نحصل على بركات لا تحصى ولا تعد، لا يمكن أن تُقاس ببركات المال والغنى. فهل أنت مستعد صديقي المستمع أن تتخلى عن كل ما يشغلك عن الإتيان الى المسيح الفادي في هذا العالم؟